ثورة اليمن وحربه

د. إياد حرفوش

ثورة اليمن وحربه

د. إياد حرفوش

ثورة اليمن وحربه

د. إياد حرفوش

الطبعة الإلكترونية: 2014م

دار عروبة للنشر الإلكتروني

© جميع الحقوق محفوظة

هل تعلم أنَّ؟

قبل أن نستعرض معا التفاصيل الحافلة لحرب اليمن، أحب عزيزي القاريء أن نتعرف على بضعة حقائق جوهرية حول تلك الحرب. وهي؛

هل تعلم أن مصر كانت تحارب داعمة للجمهوريين في اليمن، بينما كانت السعودية وبريطانيا تحاربان دعما للملكيين؟ وبالتالي هل تعلم أن مصر انتصرت بدليل بسيط؛ اليمن مازالت جمهورية من وقتها وحتى اليوم؟!

هل تعلم أن بريطانيا المسيطرة على مضيق باب المندب قبل الحرب بوجود محمية عدن، كان بوسعها أن تحول قناة السويس إلى ترعة راكدة، وتحويل البحر الأحمر لبحيرة داخلية بإغلاق المضيق؟

هل تعلم أن السعودية وهابية المذهب، والتي تقول اليوم أن عداءها مع إيران مذهبي، كانت تحارب في اليمن دفاعا عن نظام "الإمامة"، وبيت الأئمة من الشيعة الزيدية؟

هل تعلم أن العقيد أركان حرب شهيد "إبراهيم الرفاعي"، ومعظم أبطال الصاعقة المصرية الذين كانوا زبدة مقاتلينا في حرب الاستنزاف، قد اكتسبوا تلك الخبرة في عمليات الصاعقة وحرب العصابات من خوضهم حرب اليمن؟

تلك بعض الحقائق التي لا تحتمل جدالا ولا مجال فيها للرأي، يمكننا الاتفاق عليها، قبل أن نستعرض بقية الحقائق، ويكون لدينا فيها كامل الوقت للاختلاف والاتفاق.

اليمن الشمالي تحت نير حميد الدين

منذ حكم اليمن الإمام "الهادي يحيى بن الحسين" عام ٨٩٨م، بقيت أسر الأئمة الزيديين تتوارث حكمه أسرة تلو أخرى، وكان آخرها الأسرة المتوكلية، أو بيت "حميد الدين"، والتي قامت عليها الثورة اليمنية في ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢م. فكيف كان الحال باليمن تحت حكم الإمامة، والتي ينتسب حكامها – في زعمهم – لآل بيت النبوة؟ معظم

الكتب التي تناولت الثورة اليمنية بأقلام معاصريها قد استفاضت في هذا، وإنما نورد هنا بعض الأمور ذات الدلالة دون محاولة منا لتقصي كافة الأحوال التي عاشها اليمنيون تحت نير الأئمة.

في التراث اليمني مثلا أغنية شعبية يقول مطلعها "**يا رهينة كيف أمك فاقدة لك**" فما حكاية هذا الرهينة؟ لقد كان الإمام يأخذ من كل أسرة بعض صبيانها كرهائن يعيشون في قلعة صنعاء أو قلعة حجة تحت تصرفه ضمانا لولاء القبيلة أو الأسرة! فهل يمكن أن يكون هذا القهر في القرن العشرين؟

وكان انتقال المواطن اليمني من مدينة إلى مدينة داخل اليمن يقتضي إذنا كتابيا من السلطات! وقد يعتقد البعض أن هذا أمر مستحيل، لكنه قد يصير قريبا من التصديق لو عرفنا أن أكبر ممالك الخليج كانت – وحتى مطلع الألفية الثالثة – تطالب المقيمين بها من المغتربين العاملين فيها بما يسمى "خطاب التنقل" الذي يسمح فيه المواطن الذي "يكفل" المغترب لهذا "المكفول" بالانتقال خارج منطقة عمله!! هذه حقيقة

عرفها العالم وعايشها كل من عمل بتلك المملكة قبل عام ٢٠٠٥م. لكن الإمام كان يطبق هذا على المواطنين قبل الأجانب!

لم يكن في اليمن وقت قيام الثورة مدارسا بالمعنى المفهوم ولكن ما يشبه الكتاتيب، لم تكن العلوم الحديثة تدرس فيه، لم يكن به جامعات مدنية! كان بؤرة للتخلف، يشبهها الرحالة والزوار بغابات الأمازون عند اكتشافها لأول مرة! هكذا كان حال اليمن "غير السعيد" كما وصفه "عبد الناصر" في أحد خطاباته. ولكن، هل كان "عبد الناصر" ورفاقه هم حقا صناع ثورة اليمن كما يزعم البعض اليوم؟ وهم في زعمهم يعتمدون على حقيقة أن من لم يعاصر بيننا اليوم هو في معظم الأحوال .. لم يقرأ بجدية!!

اليمن الجنوبي تحت الحماية

كان هذا هو حال اليمن الشمالي تحت حكم الإمام، فكيف كان حال جنوب اليمن؟ كانت "عدن" أكثر تطورا بالطبع! فقد احتلت

بريطانيا جنوب اليمن، وأعلنت بالأمر الملكي الصادر في ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٨٣٩م عن "مستعمرة عدن" التي ضمت ميناء عدن والمناطق الساحلية جنوب اليمن، وكانت نقطة ارتكاز عسكري كاملة العتاد للجيش البريطاني، تتحكم في مضيق باب المندب ومن ثم في البحر الأحمر وقناة السويس. ثم عمقت بريطانيا نفوذها اعتبارا من ١٨ مارس (آذار) ١٩٣٧م بإعلان الحماية البريطانية على بقية مناطق جنوب اليمن! ورعت مشيخات قبلية وسلطنات وإمارات ميكروسكوبية وصل عددها إلى ٢٠ سلطنة ومشيخة! وكانت تلك الكيانات الصغيرة الهشة بطبيعة الحال مشغولة بالصراعات فيما بينها، وبطلب ود النفوذ البريطاني في كل حال، وكانت السلطنة بموت السلطان تتحول إلى سلطنة كذا العليا وكذا السفلى! لأنها قسمت بين أولاده! فكانت السلطلنات هي؛

(١) سلطنة حضرموت (٢) سلطنة العوذلي (٣) سلطنة الفضلي (٤) سلطنة الحواشب (٥) سلطنة لحج (٦) سلطنة العوالق السفلى (٧) سلطنة العوالق العليا (٨) سلطنة يافع السفلى (٩) سلطنة يافع العليا

(١٠) سلطنة الصبيحي (١١) سلطنة الواحدي (١٢) سلطنة المهرة. وكانت الإمارات هي؛ (١٣) بيحان (١٤) الضالع. وكانت المشيخات هي؛ (١٥) القطيبي (١٦) العلوي (١٧) العقربي (١٨) دثينة (١٩) المفلحي (٢٠) الشعيب. وقد عرف هذا الكيان المفتت بعد إعلان الحماية عليه تدريجيا بمحمية عدن! فقد بدأت الحماية أول الأمر بإعلان الحماية على سلطنة المهرة وحدها، ثم توالت المعاهدات بين بريطانيا والمشايخ والسلاطين طالبي الحماية حتى اكتملت محمية عدن على كامل اليمن الجنوبي! وبقيت بريطانيا مستقرة فيها حتى اضطرها أحداث الثورة اليمنية ووجود الجيش المصري في اليمن، لإعلان استقلال شكلي لتلك المناطق، مع احتفاظها بمستعمرة عدن تحت سلطتها المباشرة. فأعلنت تكوين "اتحاد الجنوب العربي" في ١٨ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٣م، ليضم كل تلك السلطنات والمشيخات عدا سلطنتي حضرموت والمهرة، فقد بقيتا تحت الحماية المباشرة. وكان هناك دائما المندوب السامي البريطاني، كحاكم فعلي لاتحاد الجنوب العربي، وكان أول المندوبين السامين هو السير شارلز جونسون. ولم ينسحب آخر جندي بريطاني من جنوب اليمن إلا في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني)

١٩٦٧م. بفضل الهجمات المستمرة من "الجبهة القومية للتحرير" و"جبهة تحرير الجنوب اليمني"، واللتان كانتا مدعومتان بالسلاح والعتاد والتدريب من الجيش المصري. فضلا عن دعم مصر لهما في المحافل الدولية.

ثورة الدستور ١٩٤٨م، وانقلاب ١٩٥٥م

الطرح الذي يقدمه البعض، والذي يوحي بأن ثورة اليمن في ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢م كانت من صنع مصر بالتعاون مع بعض النخب المثقفة والعسكريين اليمنيين، هو طرح تكذبه ثورة قريبة العهد بتلك! قامت في ١٧ فبراير (شباط) ١٩٤٨م! وانتهت بمقتل الإمام "يحيى حميد الدين"، وإعلان قائد الثورة الفقيه الزيدي "عبد الله الوزير" نفسه إماما دستوريا لليمن! غير أن ولي عهد الإمام المقتول نجح في استرداد السلطة بعد حشد القبائل الموالية له عسكريا، وأعدم قيادات الثورة، وتقلد الإمامة ملقبا نفسه بالإمام الناصر أحمد حميد الدين! وأشاع عن

نفسه أن الرصاص لا يقتله على إثر محاولة فاشلة لاغتياله! كما غير نظام ولاية العهد في أسرة حميد الدين، حيث استبعد شقيقه الأمير الحسن حميد الدين، موليا العهد لولده الأمير "البدر محمد حميد الدين". وثارت اعتراضات من إخوته، لكنه تخلص من شقيقيه "سيف الإسلام إبراهيم" و"سيف الإسلام يحيى" بالسم! ولكنه لم يقتل شقيقه "عبد الله" لأنه كان مطيعا له وكان ضعيف الشخصية بما يكفي فظن أنه مسيطر عليه تماما، وكذلك كان حال شقيقه العباس المقيم في صنعاء، ومع ذلك كان تقدير "الإمام أحمد" بعيدا عن الحقيقة. فبسبب هذا الشقاق مع إخوته، وجد نفسه ذات مساء من عام ١٩٥٥م محاصرها في قصره!

في ذلك اليوم تحرك قطاع من الجيش اليمني بقيادة المقدم "أحمد يحيى الثلايا" وقام بحصار قصر "الإمام أحمد"، مطالبا إياه بالتنحي عن منصبه والتنازل عن عرشه لشقيقه الإمام "المتوكل عبد الله"، والذي طلب من شقيقه الأمير "العباس" تشكيل الوزراة. لكن الداهية المخلوع الإمام "الناصر أحمد حميد الدين" استغل غفلة حرسه وهرب من

الحصار، واتصل ببعض القبائل المخلصة له والتي كانت مؤيدة لولاية عهد ولده "البدر"، فكون منها قوة ضاربة، وحاصر شقيقه "عبد الله" والذي كان متواجدا في وزارة الخارجية اليمنية، ثم قبض عليه من فوره وهو يقول لأخيه "أبصر كيف يفعل الرجال"[1]. ساخرا من رفق أخيه به عندما تمكن منه!

وأمر الإمام "أحمد حميد الدين" بإعدام شقيقيه "عبد الله" و"العباس"، وكذلك قائد حركة الجيش المقدم "أحمد الثلايا"، والشيوخ والقضاة من الزيدية الذين أيدوها مثل الشيخ "علي الغولي" وغيره. واستقرت له الأمور لعدة سنوات إضافية، حتى كانت محاولة الاغتيال الأخيرة التي نالت منه! وبالرصاص الذي زعم (ضمن ما زعم لنفسه من كرامات) أنه يقتله.

في مارس (آذار) ١٩٦١م، أطلق ثلاثة من رجال القبائل الرصاص على الإمام "أحمد حميد الدين"! خمس رصاصات قاتلة! لكنها لم تودي

[1] التفاصيل الواردة حول دولة الإمامة وفقا لكتاب "خيوط الظلام، عصر الإمامة الزيدية في اليمن" للكاتب اليمني "عبد الفتاح البتول"

بحياته فورا، فعاش حبيس فراشه حتى مات في ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢م. ليتولى مكانه ولده الإمام "المنصور محمد البدر" .. لفترة ولاية قصيرة جدا!

وقعت كل هذه الأمور ولم يكن لمصر ولا لقائدها في اليمن ناقة ولا جمل! ثورة شعبية تنادي بالدستور والحكم الدستوري، ومحاولة انقلاب فاشلة، ثم اغتيال لإمام وتوريث ولده! كل هذه أحداث جرت على أرض اليمن بحكم تفاعل الشعب اليمني مع واقعه الظلامي الذي فرضه عليه حكم الأئمة الزيديين!

دور مصر: القوة الناعمة أولا

كان أول ذكر لدور مصري في الأحداث في رسالة الإمام "محمد البدر" لعمه "سيف الإسلام الحسن"، بعد أيام من توليه، والتي قال فيها[2]: **سيدي أحب أن أضع تحت نظركم أمرا عظيم الأهمية في هذه الآونة،**

[2] المصدر السابق صـ ٢٤٣

"فالزنقلة"[3] من قبل بعض الشباب – سيما شباب المشايخ – حاصلة وتغذيهم القاهرة، وقد تدهورت الأخلاق العامة وضعفت المعتقدات سيما حب الآل[4]

وفي وقت تحرير تلك الرسالة في الأسبوع الأول من حكم "البدر" لم يكن لمصر موقف معلن من اليمن أو حكمها، وهذا يقصد "البدر" في الغالب لغة الخطاب التحرري الذي تتبناه إذاعة صوت العرب، فهذا هو التأثير الوحيد الممكن لمصر على الشباب، وشباب المشايخ خاصة في اليمن، حيث لا توجد قنوات اتصال أخرى. لقد بدأ دور مصر ولغتها التحررية يؤثر في اليمن قبل تواصل "عبد الرحمن البيضاني" مع القيادة في مصر بسنوات. وربما كان هو الدافع الذي جعل "البيضاني" يتجه لمصر دون غيرها. حيث كانت مصر وقتها بحق قاطرة التحرر واستقلال الإرادة الوطنية في العالم العربي قاطبة، وكانت القاهرة هي قبلة النخب المثقفة ورواد التحرير العرب.

---

[3] هكذا في الرسالة، ويعني بها التمرد

[4] يعني حب آل البيت

الدول العربية المتحدة

كان المد القومي في اليمن قد بلغ مداه مع إعلان الجمهورية العربية المتحدة في فبراير (شباط) ١٩٥٨م، ولذلك أبرق الإمام "الناصر أحمد" للقاهرة يطلب الانضمام للوحدة العربية، مع الاحتفاظ بشكل الحكم في اليمن (نظام الإمامة)، وكان هذا يعني موضع قدم للتيار التقدمي العربي ممثلا في مصر وسوريا في الخليج العربي، وعلى مقربة من مضيق باب المندب الاستراتيجي. وفي ٨ مارس (آذار) ١٩٥٨م تم توقيع ميثاق "الدول العربية المتحدة"، والذي ضم الجمهورية العربية المتحدة مع المملكة المتوكلية اليمنية (اليمن الشمالي) في اتحاد كونفدرالي. والحق أننا نعترف بأن هذا هو الخطأ الوحيد الذي وقعت فيه مصر الناصرية في قضية اليمن بصفة عامة!

نعم، كان الرئيس "عبد الناصر" يرى في تلك الخطوة – رغم معرفته بأنها صورية وجاءت استجابة لضغط الشعب اليمني – أنها رد تكتيكي على

مؤامرة الملك "سعود" ضد الجمهورية العربية المتحدة في مهدها، فكان الرد الأفضل هو دخول المملكة المتوكلية الحليفة له في هذا الاتحاد الكونفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة. لكنه كان برأينا صوريا أكثر من اللازم ومعدوم التأثير الجيو-سياسي تقريبا! ربما قصد منه الرئيس "عبد الناصر" أن يرسل رسالة تهدئة للأسر المالكة في الخليج، بأن الوحدة مع مصر لا تعني بالضرورة التخلي عن عروشها، ولكنه حتى مع ذلك التفسير يبقى خطأ وقعت فيه مصر، لأنه لا يتسق مع المباديء الناصرية، حيث شكل هذا التوقيع على الاتحاد الصوري اعترافا ضمنيا بشرعية نظام الإمام في اليمن. صحيح أن إعلان "عبد الناصر" في ديسمبر ١٩٦١م عن حل اتحاد الدول العربية كان شرارة الانطلاق لتشكيل تنظيم الضباط الأحرار اليمنيين في نفس الشهر، لكن هذا يؤيد رأينا في أن الاتحاد كان قبلة حياة لنظام الإمام أطالت عمره بضع سنوات.

اليمن حبلى بالثورة

كانت اليمن حبلى بالثورة بالفعل منذ ثورة الدستور عام ١٩٤٨م رغم إجهاضها بالثورة المضادة. فقد كانت معظم الكوادر الثورية التي صنعت فيما بعد ثورة ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢م مشاركة في تلك الثورة وفاعلة فيها. وجاءت الثورة المصرية في ١٩٥٢م لتكون إلهاما ودعما روحيا لروح الثورة في اليمن، ثم جاء الخطاب القومي الثوري للرئيس "جمال عبد الناصر" ليكون مددا إضافيا لها! ولم ينقطع نضال الشعب اليمني، فتشكلت في تعز "اللجنة الوطنية الثورية الديمقراطية" في اجتماع تأسيسي في مارس (آذار) ١٩٥٨م، تم عقده بين النخب القبلية والمدنية والعسكرية في منزل الملازم أول "محمد مفرح"[5]. وتم الاتفاق فيه على تقسيم لجانها المختلفة. وكانت هناك خلايا الأحرار التي أسسها المناضل "عبد الغني مطهر" عام ١٩٦١م، وكانت تلك الخلايا على اتصال بالقاهرة عن طريق القائم بأعمال السفير المصري في صنعاء "عبد الرحيم عبد الله"[6]. كانت الجهود الوطنية التي يقوم بها أحرار اليمن متصلة السعي لإيجاد مخرج من الاستبداد والتخلف تحت حكم الإمام

---

5 كتاب من الثورة البكر إلى الثورة الأم للأستاذ محمد اليازلي

6 كتاب يوم ولد اليمن مجده بقلم المناضل عبد الغني مطهر

في الشمال والاستعمار في الجنوب! وكان هناك تنسيق بين العناصر الوطنية من المدنيين والعسكريين، فقد أنشأ الضباط الوطنيين تنظيما للضباط الأحرار في الجيش اليمني، كان له الدور الحاسم في ثورة اليمن فيما بعد. الحراك الثوري اليمني كتبت فيه أقلام كثيرة عاصرت الأحداث وشاركت فيها! وهو حافل بالتفاصيل التي توضح منطقية الصيرورة الثورية التي وقعت، وتبين أنها كانت صناعة يمنية وطنية محضة، وكان الدور المصري فيها هو الإلهام الثوري، ثم الوعد بدعمها فور قيامها عندما أبلغ أحرار اليمن القيادة المصرية بنواياهم في يوليو ١٩٦٢م عن طريق الدكتور "عبد الرحمن البيضاني"، ثم الاعتراف بها فور قيامها، وتقديم الدعم السياسي والعسكري بعد قيامها، ردا على تدخل الملكيات العربية في محاولة قتل الثورة في مهدها.

من هو عبد الله السلال؟

أعتقد أن الصورة الضعيفة التي قدم بها المسلسل المصري "صديق العمر" الرئيس اليمني وقائد الثورة اليمنية "عبد الله السلال" هي صورة في مجملها غير مرضية. فمهما كان خلافنا مع الرئيس "السلال" في العديد من مواقفه بعد الثورة، لا يجب أن ننزلق لغمطه حقه وعدم تقدير نضاله ودوره الوطني.

تخرج "السلال" في الكلية الحربية العراقية عام ١٩٣٩م، وشارك في ثورة الدستور عام ١٩٤٨م، والتي أعدم الإمام قائدها "عبد الله الوزير" بعد نجاحه في القضاء عليها واسترداد سلطته بدعم القبائل الموالية له. وكانت نتيجة مشاركة "السلال" في الثورة هي وضعه في سجن حجة، في زنزانة على عمق أربعين مترا!! مقيدا بالحديد من قدميه وعنقه! كان هذا حال جميع الضباط الأحرار الذين شاركوا في الثورة ومنهم "السلال" و"حسن العمري" وغيرهما. واستمروا في السجن حتى أفرج عنهم وعادوا للخدمة بعد محاولة انقلاب المقدم "أحمد الثلايا" عام ١٩٥٥م! وقد نجح "السلال" في بناء علاقة وطيدة مع ولي العهد الأمير "سيف الإسلام محمد البدر"، ولهذا عينه ولي العهد رئيسا لحرس الإمام عام ١٩٥٩م

بعد سفر الإمام للعلاج في الخارج، واستمر في موقعه هذا حتى قامت الثورة.

في الخامسة من مساء يوم ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢، وبعد أقل من أسبوع من موت الإمام "أحمد حميد الدين" واعتلاء ولي عهده العرش! تحركت قوات الضباط الأحرار في تعز وصنعاء والحديدة، وبتنسيق كامل مع خلايا الأحرار المدنية بقيادة "عبد الغني المطهر". وتحرك "السلال" على رأس قوة من ثلاثة دبابات ومدفعين وجنود مشاه يحملون الأسلحة الخفيفة، ليحاصر بتلك القوة الصغيرة قصر الإمام في تعز، ويطلب من الحرس تسليم الإمام، ويتعهد لهم بنقله لخارج اليمن، لكن نيران الحرس تخرج من القصر ليرد عليها الثوار بنيران المدفعية والدبابات، ويصاب الإمام "البدر" بجراح، لكنه يهرب من القصر ويرحل للسعودية بالطريق البري ومنها يسافر للولايات المتحدة ليعالج فيها من جراحه! ويسيطر باقي الأحرار على الإذاعة وقصر الذخيرة وغيرها من المرافق الهامة، ويعلنون في صباح يوم ٢٦ سبتمبر البيان الأول، فيلغون نظام الإمام ويعلنون قيام الجمهورية اليمنية. لكن هذه كانت بداية الأحداث

وليست نهايتها، وكانت شرارة الانطلاق لحرب أهلية استمرت لخمس سنوات كاملة، وأصبحت فيها اليمن ساحة حرب مفتوحة بين القوى التقدمية والقوى الرجعية في المنطقة العربية بأسرها!

كيف أصبحت الثورة ممكنة بعد قرون من استبداد؟

السهولة التي وقعت بها الثورة ورحيل الإمام أول الأمر، قد تثير سؤالا وجيها: لو كان الأمر بهذه السهولة، وكان نظام الإمام بتلك الهشاشة، فلماذا لم تقم ثورة عبر قرون من الاستبداد؟ ولماذا فشلت ثورة الدستور وانقلاب الثلاثيا؟

اعتمد استبداد الأئمة في الأساس على عزلة اليمن عن العالم، وعلى تخلف جيشه في العتاد والتدريب، حتى لا يصبح الجيش سيفا في يد الشعب. لكن الأحداث الثورية في المنطقة العربية بعد ثورة مصر، كان لها دور كبير في كسر تلك العزلة، سواء كسر العزلة الثقافية مع وصول

موجات الإذاعة المصرية وصوت العرب لجبال اليمن، أو العزلة العسكرية والسياسية.

في عام ١٩٥٤م، ونتيجة للضغط الشعبي المطالب بتحديث اليمن، ونتيجة للدور المرن الذي لعبه ولي العهد "البدر"، والذي كان منحازا بعض الشيء لتطوير اليمن مقارنة بوالده الإمام، وصلت لأرض اليمن أول بعثة عسكرية مصرية لتدريب الجيش اليمني! لكنها لم تستمر لأكثر من عام واحد، فقد وقعت محاولة الانقلاب الفاشلة في أبريل (نيسان) ١٩٥٥م، ورحلت بعدها البعثة المصرية.

بعد صفقة الأسلحة الشرقية للجيش المصري في ١٩٥٥م، طلب ولي العهد "محمد البدر" من الاتحاد السوفيتي تسليح الجيش اليمني، وسافر في العام التالي لتوقيع الصفقة بالفعل. وكان من مقتضيات تلك الصفقة التعاقد مع الروس على إنشاء ميناء الحديدة العسكري الذي يستوعب وصول البوارج المحملة بالسلاح، والتعاقد مع الصين لإنشاء طريق الحديدة–صنعاء لنقل الأسلحة. كان لقرارات عام ١٩٥٦م أثرا محوريا في حدوث الثورة، فقد صار السلاح في يد الجيش متفوقا بدرجة كبيرة

على السلاح بيد القبائل الموالية للإمام! والتي كانت تعتمد على السلاح الخفيف فقط. لهذا كان تقدير "السلال" وبقية الضباط الأحرار أن الإمام لن يسعه غير التسليم، فلم يكن في تصورهم أن السعودية وبريطانيا سوف تمدان القبائل الموالية للإمام بالسلاح الثقيل فور وقوع الثورة.

من بادر بالحرب؟ السعودية أم مصر؟

في يوم ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢م، بادرت مصر للاعتراف بثورة اليمن، فقد أبرق الرئيس "جمال عبد الناصر" إلى "عبد الله السلال" برقية كان نصها: "**إن شعب الجمهورية العربية المتحدة يتتبع بكل اهتمام تطورات الأحداث الكبرى في اليمن، ومحاولة الشعب والجيش إقامة حياة جديدة تحقق على أرض اليمن عزة الإنسان وكرامته. إن شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤمن بأن هذا العصر هو عصر الشعوب وحدها، تصنع بأيديها أقدارها، وتحقق بإرادتها**

الحرة كل أمانيها. إن الله – جلت قدرته – خلق البشر أحراراً متساوين في الفرص، متكافئين في العدل، ولا يرضيه – جل وعلا – أن تقف دون قدرته حواجز الاستغلال، وطغيان الرجعيين، وليس يخالجنا شك في أن شعب اليمن قادر على الإسهام في معارك العرب الكبرى من أجل حياة حرة كريمة، ومن أجل أمن عربي عزيز، وإذا كانت القوى المعادية للتقدم من عناصر الرجعية والاستعمار لا تريد تحرر شعب اليمن، فإننا نؤمن بأن الله يرضيه أن تعم الحرية، لأنها كلمته القدسية. ويسرني أن أبلغكم إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قررت الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية وحكومتها، وإننا نقف مع شعب اليمن دون تردد لتنفيذ إرادته، ونناصر حقه المشروع في الحياة"[7]. نشرت الأهرام في اليوم التالي نص البرقية، وأذاعتها صوت العرب وإذاعة اليمن على العالم أجمع. هكذا اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالجمهورية اليمنية، دون أدنى إعلان عن دعم عسكري حتى ذلك الوقت. فماذا كان موقف السعودية؟

---

[7] جريدة الأهرام، في عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢م

في أول أكتوبر (تشرين الأول) وصلت للسلال معلومات عن أنشطة حدودية تقوم بها القبائل الموالية للإمام في منطقة نجران الحدودية، وعن طلب تلك القبائل السلاح والذخيرة المتطورة من المملكة العربية السعودية، ومع ذلك وقعت واقعة الطائرة السعودية!! والتي أصبحت دليلا في يد اليمن ومصر أمام العالم كله على التدخل السعودي السافر في الشأن الداخلي لليمن.

الطائرة العسكرية السعودية تصل للقاهرة

في صباح ٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٢م كانت طائرة نقل عسكرية سعودية تطلب الإذن بالهبوط في مطار ألماظة بالقاهرة، وعند هبوطها طلب الطيارون السعوديون الثلاثة مقابلة فورية مع الرئيس "جمال عبد الناصر" لأمر يمس الأمن القومي العربي. وتم ترتيب اللقاء على الفور، ليخبر الطيارون السعوديون الرئيس المصري بأنهم كانوا مكلفين بتوصيل حمولة طائرتهم من العتاد العسكري لمنطقة نجران، لتسليح أفراد القبائل

الموالية للإمام للعمل ضد الثورة اليمنية. وأنهم – أي الضباط السعوديون – قد جاءوا للقاهرة ليضعوا أنفسهم والعتاد معهم تحت تصرف زعيم القومية العربية! أبرقت القاهرة لصنعاء بالخبر في ساعته، فاستدعت الخارجية اليمنية القائم بالأعمال السعودي في صنعاء، لتبلغه تحذير شديد اللهجة لينقله للرياض، وتطلب منه الرحيل فورا وعدم العودة حتى إشعار آخر. وفي اليوم التالي أغلقت سلطات الثورة اليمنية بنوكا سعودية ثلاثة في المدن الرئيسية ردا على التدخل السعودي.

في يوم ٤ أكتوبر (تشرين الأول) أبرقت الخارجية السعودية للسفارة المصرية برقية تقول: **تهدي وزارة خارجية المملكة العربية السعودية تحياتها إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة وتخبرها بأن الطائرة CR3B رقم ٤٣١ التابعة لسلاح الطيران الملكي السعودي، والتي كانت موفدة في مهمة رسمية لنقل معدات حربية إلى الحاميات السعودية في الحدود الجنوبية للمملكة، والتي كانت بقيادة الرئيس طيار "رشاد ششة" والرئيس طيار "أحمد حسين طه"، والفني درجة ثانية "عمر إزميرلي"، قد غادرت مطار جدة في الساعة الواحدة**

والنصف بتوقيت جرينتش صباح يوم الثلاثاء ٣ جمادى الأولى ١٣٨٢ الموافق ٢ أكتوبر ١٩٦٢، وحيث لم تصل الطائرة إلى الجهة الموفدة إليها في الموعد المناسب، فقد قامت السلطات المختصة بالبحث عن أسباب تأخيرها، وقد فوجئت حكومة المملكة العربية السعودية أثناء البحث عن الطائرة المشار إليها بما إذاعته محطات الجمهورية العربية المتحدة عن وصول تلك الطائرة إلى مطار القاهرة وبإيفاد رئيس الجمهورية العربية المتحدة أحد الوزراء وبعض المسئولين في حكومته لاستقبال الطائرة وملاحيها الهاربين من الخدمة العسكرية. وإن حكومة المملكة العربية السعودية إذ تؤكد شديد احتجاجها على هذا التصرف من قبل حكومة الجمهورية المتحدة، تطالب في نفس الوقت بالتسليم الفوري للطائرة بكامل شحناتها، وتسليم ملاحي الطائرة المشار إليها الفارين من الخدمة العسكرية، وذلك لتقديمهم للمحاكمة العسكرية. وتنتهز الوزارة هذه الفرصة للإعراب عن فائق تحياتها[8]

[8] النص نقلا عن الموقع الرسمي للملك سعود بن عبد العزيز.

باستخدام هذه البرقية، فضلا عن وجود الطائرة وحمولتها والطيارين في القاهرة، تقدمت اليمن بشكوى في مجلس الأمن في ٤ أكتوبر (تشرين الأول) بحق المملكة السعودية، مطالبة إياها بعدم التدخل في الشأن الداخلي. وأرسل "السلال" برقية للرئيس "عبد الناصر" يطلب قواتٍ مصرية للدفاع عن ثورة اليمن. في اليوم التالي قرر الرئيس "جمال عبد الناصر" إرسال أول قوات دعم مصرية لميناء الحديدة، وكانت عدة كتائب رمزية أكثر منها قوة عسكرية حقيقية، فقد أراد توجيه رسالة بأن الجمهورية العربية المتحدة ماضية في دعمها لثورة اليمن للحد الأقصى، كان عدد الضباط والجنود يوم ٥ أكتوبر ١٢٠ فقط. لكن تحركا سعوديا جديدا في يوم ٩ أكتوبر (تشرين الأول) تطلب مضاعفة القوات المصرية فورا، حيث تبين منه أن السعودية بدورها تنتوي المضي لآخر الشوط.

في يوم ٩ أكتوبر (تشرين الأول) أعلن الأمير "الحسن" عم الإمام المخلوع نفسه إماما لليمن من الرياض، وكان قد جاء إليها من الولايات المتحدة قبلها بأيام! وبايعته أسرة "حميد الدين" التي التجأ معظم أفرادها

للرياض بدورهم، واستمر هذا حتى عودة الإمام "محمد البدر" بعد إتمام علاجه. وفي يوم ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) تحركت قوات الملكيين فهاجمت مدينة مأرب واستولت عليها! ظهرت في أيدي مقاتلي القبائل مدافع الهاون والألغام المضادة للدبابات! وظهر كذلك إعداد القبائل الموالية للإمام للزحف من الشمال من جهة نجران (السعودية) ومن الجنوب من جهة بيحان (بريطانيا). ولهذا أوفدت مصر عضو مجلس قيادة الثورة السيد "أنور السادات" لليمن، ليوقع نيابة عن مصر على اتفاق دفاعي جديد بين مصر واليمن[9]. وردت السعودية على هذا الاتفاق في مساء ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) بقرارها قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين!

ومن كل ما سبق يتبين لنا ما يلي:

(١) السعودية هي من بادرت بالتدخل العسكري لصالح القبائل الموالية للإمام بدليل الطائرة السعودية التي فر طياروها للقاهرة لرفضهم العمل ضد ثورة الشعب اليمني!

---

[9] جريدة الأهرام في ١١ أكتوبر ١٩٦٢م

(٢) السعودية هي من بادرت بقطع العلاقات الدبلوماسية، والذي يعد في سياقه وفي مثل تلك الظروف بمثابة إعلان للحرب!

حرب اليمن

كانت مصر والسعودية واليمن قد وقعت في إبريل (نيسان) ١٩٥٦م على اتفاق جدة للدفاع المشترك بينها، وهو الاتفاق الذي استغلته السعودية لدعم الملكيين، وأسست عليه مصر بالمقابل دعمها للجمهوريين وتوقيع اتفاق دفاعي إضافي معهم بعيد الثورة. ومع ذلك تدخلت الأردن في الحرب دون أي ذريعة اعتبارا من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢م، حيث أذاعت مصر في يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) البيان التالي: **تعرضت جمهورية اليمن منذ ثلاثة أيام لعملية غزو من السعودية إذ أن قوات سعودية وأردنية عبرت الحدود السعودية–اليمنية للاستيلاء على مدينة "حرض" قرب الحدود، وقد سحقت قوات جمهورية اليمن العدوان السعودي الأردني، وقضت عليهم**

وأوقعت بهم خسائرا فادحة[10]. انتهى البيان. وصار واضحا للعالم أن مصر تقف بثقلها خلف الثورة اليمنية، لهذا غيرت الولايات المتحدة موقفها في ٢٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٢م فاعترفت بالثورة اليمنية وبالجمهورية اليمنية، وكانت تلك ضربة أليمة للملكيين ومن خلفهم من الرجعيات العربية. وبدأت الحرب الإعلامية بإذاعات سعودية وبريطانية موجهة للجنود المصريين، تقول بأنهم يقاتلون في حرب كافرة!! وبأن خسائر مصر في الميدان جسيمة، ولهذا وقف الرئيس "عبد الناصر" في القاهرة خطيبا، في ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٢م ليصارح الشعب بالحقائق التي تدحض الأوهام، فقال:

"**عندنا خساير في اليمن، أنا هقولكم عدد الخساير بالكامل! من أول يوم ولغاية امبارح الخساير اللي عندنا ١٣٦ شهيد! ٢١ ضابط و ١١٥ من الجنود! قالوا إن خسايرنا ١١ ألف وتلتماية شهيد، يعني ضربوها في مية، وده شيء مضحك مثير للسخرية! قالوا إننا**

---

[10] إذاعة صوت العرب في ٣ نوفمبر ١٩٦٢م

بنصرف كل يوم على حملة اليمن مليون جنيه عملة صعبة! ياريت والله"

والغريب أن بيننا اليوم من مازال يردد تلك الأساطير التي استندت على إذاعات العدو وبياناته!

بدأ دعم القوات المصرية المقاتلة في اليمن بالطائرات المقاتلة، وببعض قطع الأسطول المصري. لأن المنطقة الحدودية الجبلية التي استخدمها الملكيون للتسلل داخل الأراضي اليمنية كانت من الوعورة بحيث يصعب الدفاع عنها من البر، وكان ضرب مواقع تجمع الملكيين على الحدود محوريا في عمليات تلك الحرب. وبدأت العمليات بالفعل، لتصدر وزارة الدفاع والطيران السعودية في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٢م البيان التالي: **منذ الساعة السابعة والنصف من أول أمس الاثنين الموافق ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢م حتى صدور هذا البيان، قامت طائرات مصرية وثلاث قطع بحرية حربية مصرية، في فترات متقطعة من الليل والنهار، بقصف قريتي "الموسم" و"خلف" في الحدود السعودية، بنيران قنابلها ومدافعها، معتدية بذلك على**

الأراضي وعلي المياه العربية السعودية، وملحقة بهاتين القريتين وبالسكان الآمنين فيهما خسائر وأضراراً فادحة يجري الآن إحصاؤها. انتهى البيان. وهكذا أصبحت حربا مفتوحة بين مصر وبين النظام الملكي السعودي في أرض اليمن!

قائد الطيران الأردني في القاهرة

لجأ السعوديون للأردن لقصف المواقع المصرية في اليمن، واستجاب الملك "حسين" ووصل للسعودية وفد عسكري أردني يضم "حابس المجالي" قائد الجيش ومعه "سهل حمزة" قائد سلاح الجو الأردني. وكانت الأهداف المحددة لضربها من الجو هي مطارات صنعاء وتعز والحديدة! فواجهتهم مشكلة التزود بالوقود، وكان الاقتراح السعودي هو التزود بالوقود من مطارات الإنجليز في مستعمرة عدن، ثم التوجه لضرب الأهداف. وهنا ثارت عروبة "سهل حمزة" في صدره! تعاون مباشر مع الاستعمار لضرب المصريين؟!! لهذا غادر إلى عمان، ومنها بطائرته

الحربية للقاهرة، حيث طلب مقابلة الرئيس "عبد الناصر" ثم أقام بالقاهرة كلاجئ سياسي أسوة بالطيارين السعوديين. فقد "سهل حمزة" رتبته العسكرية وحكم عليه بالإعدام في الأردن نتيجة لتمرده العروبي. وفوق تمرده، لأنه أعلن للصحافة العالمية من القاهرة سر تعاون السعودية والأردن مع الإنجليز!

السعودية تعلن التعبئة العامة

رغم محاولات التسوية التي جرت في قمة القاهرة، وبحضور الرئيس "عبد الناصر"، و"السلال"، والملك "سعود"، غير أن الحرب كانت مستمرة على الأرض. وبرغم تكرر البيانات السعودية التي كانت تصر منذ بداية الحرب أن السعودية لا تنوي الدخول بعناصرها البشرية في القتال، فقد أعلن مجلس الدفاع الأعلى برئاسة الأمير "فيصل" (الملك فيما بعد) في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣م عن إنشاء مراكز تدريب عسكري واستقبالها المتطوعين من الشباب السعودي! وأصدر مجلس الدفاع

الأمر التالي: **بناء على قرار مجلس الدفاع الوطني، تطلب وزارة الدفاع والطيران من جميع أفراد القوات المسلحة من ضباط، وصف ضباط، وجنود ، العودة إلى وحداتهم. وعلى مديري الخطوط الجوية السعودية، ومديري مكاتب الخطوط الجوية، إركاب المجندين الذين يراجعون من الضباط وصف الضباط والجنود في الداخل والخارج بموجب الوثائق التي يحملونها، والرفع بعد ذلك بالبيانات لتأييد هذا الإركاب من قبل الجهات المختصة، والله ولي التوفيق.**

وأذاع مجلس الدفاع للشعب بيانا جاء فيه: **أيها المواطنون الكرام، تنفيذاً لقرار مجلس الدفاع الأعلى بتعبئة القوى العاملة للشعب السعودي الأبي، تعلن وزارة الدفاع والطيران للمواطنين الكرام أنها تفتح اعتباراً من يوم السبت الموافق ١٦ شعبان سنة ١٣٨٢، خمسة مراكز لتدريب أبناء الشعب على حمل السلاح لمواجهة أي عدوان غاشم يقع على أرضنا المقدسة. وذلك في كل من مدن الرياض، والدمام، وجدة، والطائف، وأبها، من الساعة التاسعة والنصف إلى ١٢ كل يوم ، عدا يومي الخميس والجمعة. كما يشترط**

في كل متطوع أن يكون سعودي الجنسية ، ولا يزيد عمره عن ٤٠ ولا يقل عن ١٨. ويستوفي اللياقة الجسمانية للتدريب. فعلى كل متطوع أن يتقدم لتسجيل اسمه لدى كل إمارة في كل من المدن المذكورة. أما بالنسبة للمواطنين المقيمين خارج هذه الحدود، فعلى المتطوعين منهم تسجيل أسمائهم لدى مكاتب إماراتهم ليزود بها الجيش حسب أسبقية التسجيل لتتخذ الإجراءات اللازمة بشأنهم. وفق الله الجميع لما فيه خدمة الوطن العزيز والدين الحنيف.

اتضح من تلك البيانات عزم السعودية والملكيين على الزج بكل طاقتهم لميدان القتال، ولهذا أعلن المشير "عامر" التحول من الدفاع للهجوم العام على قوات الملكيين اعتبارا من ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣م. بدأ الهجوم العام وصار واضحا أن قوات الجمهوريين المدعومة بالقوات المصرية تسيطر على الأرض بشكل كبير. فقد كان الهجوم العام موفقا لحد بعيد وحققت فيه القوات المصرية انتصارات كبيرة على الملكيين والقوات السعودية في "نشور" و"مجز" و"صرواح" و"مأرب" وغيرها. وإن بدأت هجمات من القبائل الجنوبية الموالية لبريطانيا تتصاعد

وتيرتها. وكان تقدير الموقف العسكري أن جيوب الملكيين في الشمال لم تعد تشكل خطرا كبيرا، وأن أمرها سيحسمه الوقت. ولكن الخطر الأكبر هو من الهجمات الجنوبية الموالية لبريطانيا. على تلك الخلفية زار الرئيس "جمال عبد الناصر" قواته في الجبهة يوم ٢٢ إبريل (نيسان) ١٩٦٣م، وقال أن الاستعمار البريطاني في الجنوب صار هو الخطر الأكبر. واستمر القتال حتى أعلن الأمين العام للأمم المتحدة توقيع اتفاقية فك الارتباط بين القوات المتحاربة في ٢٩ أبريل (نيسان) ١٩٦٣م. وهو الاتفاق الذي لم يفعل أبدا! فقد استمرت المعارك بين الطرفين برغم وجود قوات المراقبة الدولية، وهو الأمر الذي دفع مجلس الأمن لسحب قوات المراقبة الدولية تلك.

وبقدوم العام التالي بدأت مساعي جديدة لتصفية الصراع العسكري سياسيا. فزار المشير "عامر" السعودية في أول مارس (آذار) ١٩٦٤م، حاملا دعوة الرئيس "عبد الناصر" الأمير "فيصل" (الرجل القوي والحاكم الفعلي وقتها) لزيارة الإسكندرية ضمن فعاليات القمة العربية الدورية! وفي ٥ سبتمبر (أيلول) عقدت جلسة المباحثات بين الوفد

السعودي برئاسة فيصل والرئيس "عبد الناصر"، وأصدرت السعودية البيان التالي:

"كانت زيارة حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود نائب جلالة الملك ورئيس مجلس الوزراء بالمملكة العربية السعودية للإسكندرية، بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني، فرصة طيبة لكي يتبادل مع فخامة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وجهات النظر في كل ما يهم الأمة العربية عامة والدولتين الشقيقتين بصفة خاصة. ولقد تمت عدة اجتماعات بين الطرفين اشترك فيها سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع بالمملكة العربية السعودية، والمشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، أسفرت عن الاتفاق على النقاط الآتية: (١) عزم المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة، على التعاون التام في حل الخلافات القائمة بين الأطراف المختلفة في اليمن، وتصميمها على منع الاشتباكات المسلحة. (٢)

أن تقوم الدولتان بالاتصالات اللازمة والتوسط لدى الأطراف المعنية لتهيئة جو من التفاهم للوصول إلي حل الخلافات القائمة بالطرق السلمية، على أن تستمر هذه الاتصالات إلى أن تزول تلك الخلافات وتستقر الأمور في اليمن. (٣) تتمسك الدولتان الشقيقتان بالتعاون التام فيما بينهما في جميع الشؤون وشتى الميادين ، وتعلنان تأييد كل منهما للأخرى في جميع الظروف، سياسياً ومادياً ومعنوياً. والله ولي التوفيق"

وتأسيسا على هذا الاتفاق، تم اجتماع بين الملكيين والجمهوريين اليمنيين في السودان في ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول)، وتم الاتفاق على يوم الثامن من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٤ كتاريخ لوقف إطلاق النار، على أن تتم تسوية كل الخلافات بالطرق السلمية والتفاوض. غير أن الأطراف لم تحترم الهدنة من جديد. واستمر القتال. وبدأ الدعم السعودي يزيد من جديد لقوات الملكيين، فوقف "عبد الناصر" في القاهرة خطيبا في ٢٣يوليو ١٩٦٥م أنه مستعد لو لزم الأمر لدك قواعد الملكيين داخل الأراضي السعودية نفسها.

وصدرت الأوامر للقوات المصرية بالفعل في ١ أغسطس بالاستعداد للزحف نحو قواعد الملكيين في جنوب السعودية! لكن قناة سياسية كانت فتحت من جديد في التواصل بين الرئيس "عبد الناصر" والملك الجديد (فيصل) الذي تولى العرش بعد خلع شقيقه الأكبر. وترتب عليها زيارة الرئيس لجدة في ٢٢ أغسطس على متن باخرة خاصة، وتوقيع اتفاقية جدة بعد ثلاثة أيام من المباحثات في ٢٥ أغسطس ١٩٦٥م، ونصت على:

(١) تقرير الشعب اليمني مصيره من خلال استفتاء يعقد في موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦م، وحتى يتم عقده تكون الفترة المقبلة فترة انتقالية، تعمل فيها جميع الأطراف على حل الصراعات البينية.
(٢) توقف السعودية جميع أشكال الدعم العسكري المقدم للملكيين
(٣) تسحب الجمهورية العربية المتحدة قواتها من اليمن تدريجيا في غضون عشرة شهور.

لماذا تعثرت التهدئة في كل مرة؟

وقد بدأ سريان وقف إطلاق النار بالفعل في ٢٥ أغسطس ١٩٦٥م، لكنه لم يستمر طويلا. وهنا يجب أن نسأل؛ لماذا فشلت تفاهمات وقف إطلاق النار في كل مرة؟ تقديري أن وجود عناصر قبلية في صفوف الطرفين، ووقوع الاحتراب بين القبائل الموالية للإمام والقبائل الموالية للجمهوريين، جعل مسرح العمليات غير خاضع لتفاوض الطرفين الخارجيين (مصر والسعودية) بشكل كبير، وذلك لسببين؛

(١) أصبحت هناك ثارات قبلية تقف عثرة في سبيل أي تسوية، حيث كان خرق وقف إطلاق النار في كل مرة يبدأ من عناصر قبلية.

(٢) كانت الأطراف اليمنية الأصيلة في الصراع (الجمهوريين والملكيين) حريصة على استمرار كل من مصر والسعودية (على الترتيب) في دعم الطرف الداخلي الموالي لها.

وبرغم تلك العوامل، بدأ الجيش المصري يعيد خطة انتشاره، تمهيدا للانسحاب التدريجي من اليمن. وبدأ في تسليم المناطق والنقاط

الاستراتيجية التي كان يشغلها لقوات الجمهوريين اليمنية، والتي كان بحلول عام ١٩٦٥م قد تم تدريبها وتأهيلها في القاهرة في الكلية الحربية وغيرها من المعاهد العسكرية المصرية.

بريطانيا تعلن الرحيل

في ٢٢ فبراير ١٩٦٦م، أعلنت بريطانيا أنها تنوي الجلاء عن مستعمرة عدن قبل ١٩٦٨م، بعدما تصاعدت أعمال مقاومة جبهات التحرير التي دربتها ومولتها القاهرة. ولهذا أعلن الرئيس "عبد الناصر" أن القوات المصرية لن تتم انسحابها من اليمن قبل الجلاء البريطاني عن عدن. ومع ذلك استمر في تخفيض عدد القوات الموجودة في اليمن معبرا عن التزامه بروح اتفاقية جدة!

حجم القوات المصرية في اليمن

بدأ المنحنى التصاعدي لقوات مصر في اليمن بداية من أكتوبر ١٩٦٢م حين بدأت بكتيبة صاعقة قوامها ١٢٠ جندي كقوة رمزية لمشاركة الجمهورية العربية المتحدة في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٢م، وارتفع العدد تدريجيا ليصل في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٣م إلى ٥٠٠٠ جندي. ثم ١٥٠٠٠ في ديسمبر ١٩٦٣م، ووصل لذروته في نهاية عام ١٩٦٥م إلى ٥٥٠٠٠ جندي. ثم تم توقيع اتفاقية جدة وبدأ التخفيض التدريجي في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٦٦م إلى ٤٧ ألف جندي. ثم تخفيضها ثانية إلى ٣٩ ألف جندي في ديسمبر (كانون الأول) بعد إعلان الإمام "البدر" تنازله عن السلطة لمجلس إمامي. ثم ٣٣٠٠٠ جندي في مايو (أيار) عام ١٩٦٧م. ثم وصلت الدفعة الأكبر من الدعم السوفيتي لليمن في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧م، قبل يومين من رحيل آخر جندي بريطاني عن أرض اليمن في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧م، فتم انسحاب الجيش المصري بالكامل من اليمن في ١٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٧م[11].

[11] وفقا للأبحاث المنشورة في جريدة ٢٦ سبتمبر اليمنية

وعلينا هنا أن نقر بأن تقدير الأوضاع الذي أسست عليه القيادة السياسية قرارها في أكتوبر ١٩٦٢م بالتدخل العسكري كان تقديرا مضللا لحد بعيد. وهذا لا يعفي الرئيس "عبد الناصر" نفسه من المسئولية. فكما قلنا من قبل، لقد علمنا الزعيم والقائد أنه مسئول عن قراراته وقرارات مرؤوسيه! ولكننا كذلك نرفض التورط في جلد الذات أولا، والتورط في غمط القوات المسلحة المصرية حقها فيما حققته من إنجاز على أرض اليمن، حقق النصر للجمهوريين الذين انحازت مصر لهم في الصراع، وحقق الجلاء البريطاني عن باب المندب، مدخل البحر الأحمر ومفتاح قناة السويس.

القلاقل في صفوف الثورة اليمنية

وقع أول خلاف في صفوف الثورة اليمنية مبكرا جدا، اعتبارا من ٢ ديسمبر ١٩٦٤م، عندما استقال العديد من الوزراء المدنيين في حكومة الثورة. وكان يرأسها في ذلك الوقت "عبد الله السلال" بنفسه. وبدأت

الخلافات بينه لهذا السبب وبين القاهرة. فبرغم احترام القيادة المصرية لوطنيته ونزاهته، كانت ترى دائما أن عليه السعي للحفاظ على وحدة الصف الثوري في اليمن. وكان الرئيس "عبد الناصر" ينحاز له أحيانا في الخلافات التي تقع مع رفاقه من القيادات الوطنية، وينحاز لهم على حسابه أحيانا.

أزمة مؤتمر خمر؛ يونيو ١٩٦٥

عندما تولى القيادي الوطني "أحمد النعمان" رئاسة الوزراء في أبريل (نيسان) ١٩٦٥م، دعا إلى مؤتمر بمدينة "خمر" للمصالحة الوطنية في يونيو. وبدأت المحادثات بين وفد قبائل الجمهوريين بقيادته، ووفد قبائل الملكيين. وقد توصل "النعمان" إلى شروط للصلح مع الملكيين رفضها العديد من رفاقه الجمهوريين، وعندما سافر للقاء "عبد الناصر" في القاهرة وعرض الأمر عليه، قام "السلال" بإقالة واعتقال بعض وزرائه، مما ترتب عليه استقالة النعمان في يوليو بعد شهرين فقط من توليه الوزارة، فقام السلال بتشكيل وزارة بنفسه.

أزمة مؤتمر حرض؛ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥م

بعد قمة جدة، وقبل عقد مؤتمر حرض، وقع الخلاف من جديد بين "السلال" وبين رفاقه الجمهوريين مثل القاضي "عبد الرحمن الآرياني" والفريق "حسن العمري" والأستاذ "أحمد النعمان". وبدا الأمر منذرا بخطر الانشقاق في جبهة الجمهوريين. فطلب "عبد الناصر" من "السلال" الحضور للقاهرة، ثم طلب منه عدم العودة لليمن حتى تنتهي المفاوضات وحتى يمكن للرئيس العمل على تحسن علاقته بزملائه. وأقام "السلال" بالقاهرة لمدة عشرة أشهر، تولى رئاسة الوزراء خلالها الفريق "حسن العمري". قبل أن يعود "السلال" في ١٣ أغسطس، ليشكل وزارة جديدة برئاسته ويعيد إحكام قبضته على الأمور، واستمرت وزارته تلك حتى الانقلاب عليه في نوفمبر ١٩٦٧م.

انقلاب نوفمبر ١٩٦٧م

في ٥ نوفمبر ١٩٦٧م، وبعد فشل دعوته التي وجهها للحوار مع المعارضة، قام "حسن العمري" ورفاقه بالإطاحة بالسلال بانقلاب لم يلق مقاومة كبيرة، لأنهم كان مدعوما من القاهرة، وتم في أثناء زيارة "السلال" لموسكو! وقد فسره البعض بأن الرئيس "عبد الناصر" كان

يرى أن "السلال" يقيم علاقات سياسية لا تدور في فلك القاهرة مع الاتحاد السوفيتي. بينما واقع الحال أن العلاقات مع السوفييت كانت أقدم من تلك الزيارة، وفي نفس الوقت كانت خلافات "السلال" مع رفاقه مزمنة منذ العام الأول من الثورة كما أسلفنا!

مؤتمر الخرطوم ونهاية الحرب

بعد نكسة يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، اقتضى الظرف التاريخي أن يتم التعجيل بسحب الجيش المصري من اليمن، لكن وجهة النظر القائلة بأن فكرة سحب الجيش من اليمن كانت وليدة الهزيمة العسكرية في يونيو (حزيران) هي فكرة عاطلة تماما!! وهذا ما يثبت لنا عندما نتذكر ما يلي؛

(١) في كل محادثات كانت القاهرة دائما مع فكرة سحب قواتها من اليمن، طالما انتفى الغرض من وجودها بتأمين الثورة اليمنية، وخروج

الاستعمار البريطاني! لهذا قبلت ووقعت على هذا في قمة الإسكندرية ١٩٦٤م، ثم قمة جدة ١٩٦٥م

(٢) ألزم الرئيس "عبد الناصر" نفسه بالخروج من اليمن بعد خروج آخر جندي بريطاني، وهو ما أصر عليه رغم نكسة يونيو، فخرجت القوات المصرية بعد أكثر من شهر من جلاء الإنجليز عن مستعمرة عدن.

(٣) قيام مصر بتطوير وتحديث الجيش اليمني، وبرعاية صفقات التسليح له مع موسكو، كلها تدل على الطبيعة المؤقتة لمهمة الجيش المصري في اليمن! لم يكن الأمر توسعا إمبراطوريا لعبد الناصر كما صور بعض المخابيل!

وعندما التقى الرئيس "جمال عبد الناصر" بالملك السعودي "فيصل بن عبد العزيز" في قمة الخرطوم بعيد نكسة يونيو (حزيران)، كان طبيعيا أن تتم مناقشة التدابير اللازمة للتعجيل بتطبيق اتفاقية جدة، مع الاحتفاظ بالجيش المصري في اليمن حتى خروج البريطاني من الجنوب!

وتم الاتفاق على تفاهم الخرطوم الذي لم يزد أو ينقص عن كل ما سبقه من تفاهمات؛

(١) سحب القوات المصرية من اليمن

(٢) وقف مساعدات السعودية للملكيين

(٣) إرسال مراقبين من ثلاث دول عربية محايدة هي العراق والسودان والمغرب.

وهكذا، نجد أن القاهرة لم تقدم أي تنازلات بسبب واقع الهزيمة المرير!